2. انعكاس الأسرة والمدرسة والمجتمع المحلّي والدّولة على تربية الأطفال

The impact of the family, school, community, and state on raising children

بقلم الدكتور علي حسن عسَّاف

أستاذ مساعد في الجامعة اللّبنانيّة / كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة /الفرع الخامس

وأستاذ متعاقد في التعليم الخاص

D. Ali Hassan Assaf

Assistant Professor at the Lebanese University / Faculty of Arts and Humanities / Fifth Branch, Contracted Professor in Special Education

Ali-h-assaf@outlook.com

تاريخ الاستلام: 2024 /9/4 تاريخ القبول: 2024 /11/14 تاريخ النشر :2024 /12/25

ملخَّص البحث

هدف هذا البحث إلى التّعريف بمفهوم التّربية عند الأطفال، والعناصر الّتي تحدّد مسار هذه التّربية بدءًا من الأسرة، مرورًا بالمدرسة، وصولًا إلى الدّولة والمجتمع. إذ إنّ التّربية هي الّتي تحدّد ملامح شخصيّة الطفل، والوضع الّذي سيصبح عليه في المستقبل، وهي الّتي تحدّد خياراته، واحتياجاته.

وقد وقف هذا البحث عند فعاليَّة الأنظمة المجتمعيَّة في تحقيق مفهوم التّربية، وإشباعها لدى الأطفال، وانطلقت الدّراسة من الأهداف الآتية (التّعرّف إلى دور الأسرة، والمدرسة، والمجتمع المحلّي، والدّولة في موضوع تحقيق التّربية السّليمة).

وقد توصّل البحث إلى نتائج، أهمّها:

- وجوب بدء العمل بالتّربية منذ ولادة الطّفل، وفي سنٍ مبكرة، لِما لهذا الموضوع من انعكاس كبير وإيجابيّ على حياته ومستقبله.
- تؤدّي الأسرة دورًا بالغ الأهمّيَّة على هذا الصّعيد، فهي البذرة الأولى لنموّ نشاط الطّفل.
- للمدرسة دور مساعد للأسرة في عمليَّة التّربية، وهي حجر الزّاوية في تكوين شخصيَّة الطّفل.
- إنَّ القيم المجتمعيَّة تساهم إلى حدٍّ كبير في تنمية عقل الطّفل، وتوجيهه نحو السّلوكيّات الصّحيحة.
- إنَّ طبيعة نظام الحكم في الدّولة، يستطيع أن يكرّس مبدأ التّربية على أسس المساواة، والعدل، وفرض القوانين القائمة على احترام الآخر، والتّعامل، والتّعاون معه.

الكلمات المفتاحيّة: التّربية– الأسرة– المدرسة– المجتمع– الدّولة– الأطفال.

Abstract:

The aim of this research is to define the concept of education among children, and the elements that determine the path of this education, starting from the family, through the school, all the way to the state and society. Because education is what determines the features of a child s personality and the situation he will become in the future, and it is what

determines his choices and needs.

This research focused on the effectiveness of community systems in achieving the concept of education and its satisfaction among children, and the study began with the following objectives (identifying the role of the family, school, local community, and state in the issue of achieving sound education).

The research reached results, the most important of which are:

It is necessary to start working on education from the birth of the child, and at an early age, because this topic has a great and positive impact on his life and future.

The family plays an extremely important role in this regard, as it is the first seed for the child s activity development.

The school has a supportive role for the family in the education process, and it is the cornerstone in the formation of the child s personality.

Societal values contribute greatly to developing the child s mind and directing him towards correct behaviors.

The nature of the government system in the state is that it can establish the principale of education on the foundations of equality and justice, and impose laws based on respect for others, dealing with them, and cooperating with them.

Keywords: education– family– school– society– state– children.

المقدِّمة

تعدُّ التّربية مطلبًا أساسيًّا ومهمًّا في حياة الإنسان، وخصوصًا تربية الأطفال الّتي من شأنها التّأثير المباشر في تكوين شخصيَّة الطّفل، إذ تتشكّل لديه القيم، والمعارف، والمهارات، ويتمّ تحديد مسار حياته في المستقبل على الأصعدة كافّة. وهناك الكثير من العوامل الّتي تساعد على تربية الأطفال بالشّكل الصحيح، ويكون لها الأثر الواضح في تكوينهم المعرفي، والسّلوكي. من هنا يبرز دور الأسرة، والمجتمع، والمدرسة، والجهات الحكوميّة في الدّولة.

إنَّ تربية الأطفال ليست بالأمر السّهل، لأنّه بناءً على تلك التّربية سيترتّب الكثير من التّداعيات والنّتائج في مستقبل هؤلاء الأطفال من حيث طريقة التّعامل مع الآخرين،

والتّصرّفات والسّلوكيّات الّتي يعتمدها الفرد؛ فالتّربية السّليمة سيكون لها انعكاسها الإيجابيّ، والتّربية الفاشلة ستؤثّر سلبًا في حياة الطّفل والبيئة الّتي تحيط به.

والتّربية تُعنى بالدّرجة الأولى بتغيير السّلوك الإنسانيّ، لأنّه لا فائدة من التّغيير لو اقتصر على مجرّد الحصول على معارف جديدة. صحيحٌ أنَّ تغيير السّلوك لا يتمُّ بصورةٍ سليمةٍ إلَّا إذا أبقته القاعدة المعرفيَّة، لكن من الصّحيح أيضًا أنّ هذه القاعدة ليست إلَّا وسيلة لغاية، وأداة لتحقيق هدف، وهو الممارسة الفعليَّة لقيمةٍ ما، أو اتّجاهٍ ما، والأمر الّذي لا شبهة فيه أنَّ الإسلام بظهوره كان قوّة تأثير ضخمة، تمكّنت بالفعل من أحداث تغيّراتٍ تربويَّة في سلوك الإنسان الّذي اعتنق هذه الدّيانة، فمبادئ المساواة، والعدالة، والإخاء، والحرِّيَّة الّتي جعلها أجزاء متمّمة للإيمان قد فعلت فعلها في إصلاح الأخلاق والسُّموّ الروحيّ، وكذلك فعلت عقيدة الإيمان بالله وحده لا شريك له (علي، 2001، ص 66).

ولكي تكون عمليَّة التّربية شاملة وفاعلة، كان لا بدّ من التّكامل بين عدّة أدوار لتحقيق الهدف المنشود، انطلاقًا من التّربية في الأسرة والمدرسة، مرورًا بدور المجتمع، وصولًا إلى دور الدّولة والمؤسّسات الحكوميَّة. من هنا جاء هذا البحث، ليسلّط الضّوء على أهمّيّة كلِّ دور من هؤلاء في سبيل تحقيق التّربية الحقّة والسّليمة للأطفال.

الإشكاليَّة

تعدّ التّربية وظيفة اجتماعيَّة، وهي حصيلة تشاركٍ بين عدّة عناصر، إذ إنَّ الطّفل يستمدّها بدايةً عبر تأثير الأسرة من الولادة، ومن ثمَّ بعد دخوله إلى المدرسة، وفيما بعد عندما ينخرط في المجتمع المحيط به، إضافةً إلى دور الدّولة في هذا المضمار. وانطلاقًا ممّا تقدّم، تتجسّد الإشكاليَّة الأساسيَّة في هذا البحث من خلال السّؤال الآتي:

- كيف يكون انعكاس الأسرة والمدرسة والمجتمع المحلّي والدّولة على تربية الأطفال؟

ومن هذه الإشكاليَّة، تتفرّع أسئلةٌ عدّة، وهي كالآتي:

- ما دور الأسرة في تربية الأطفال؟
- كيف تؤدّي المدرسة دور التّربية، وهل تعدّ عاملًا مساعدًا؟

- أين يتبدّى دور المجتمع في عمليَّة التّربية؟

- هل هناك شراكة بين العوامل الثّلاثة الأولى، وبين الدّولة في تحقيق تربية الأطفال السّليمة؟

المنهج

إنَّ هذا البحث يعتمد المنهج الوصفيّ في دراسته للموضوع، إذ إنَّه من المناهج الهامّة الّتي تناسب مثل هكذا دراسات، وقد استخدم هذا المنهج أسلوب التّحليل، ومن خلاله يمكن تحقيق الأهداف المتوخّاة.

والمنهج الوصفيّ التّحليلي، يقوم بدراسة الظّاهرة كما هي في الواقع، ويصفها وصفًا دقيقًا، ومن ثمَّ يقوم بتحليلها، وذكر النّتائج الّتي يتوصّل إليها من خلال هذا التّحليل.

الفرضيَّات

تتمحور فرضيَّات هذا البحث، حول إمكانيَّة تحقيق التّربية السّليمة والصّحيحة من خلال وجود عمليَّة تشاركيَّة وتوزيع للأدوار بين الأسرة، والمدرسة، والمجتمع المحلّي، والدّولة في سبيل الوصول إلى هذا الهدف.

أمَا فرضيَّات الدّراسة، فهي على الشَّكل الآتي:

- هناك انعكاس للأسرة، والمدرسة، والمجتمع، والدّولة على تربية الأطفال.
- تؤدّي الأسرة دورًا محوريًّا في التّربية.
- إنَّ للمدرسة دورا مهمّا في عمليَّة التّربية لدى الأطفال.
- بما أنّ المجتمع، هو المكان الأوسع الّذي يقوم الفرد فيه بالتّعامل مع الآخرين وتحقيق ذاته، لذا فهو يؤدّي دورًا مساعدًا في التّربية.
- لا تتحقّق التّربية الشّاملة من دون وجود دور فاعل للدّولة.

الأهداف

هناك الكثير من الأهداف الّتي يسعى البحث إلى تحقيقها، وأهمّها:

- التّعريف بمفهوم التّربية، ومظاهرها، وأساليبها.

- التّعرّف إلى الأدوار المختلفة للأسرة، والمدرسة، والمجتمع المحلّي، والدّولة في تربية الأطفال.

- تسليط الضّوء على تأثير التّربية في تشكيل شخصيَّة الطّفل.

أوَّلًا: مفهوم تربية الأطفال

1 – مفهوم التّربية لغةً واصطلاحًا:

التّربية لغةً: ربا، يربو، بمعنى نما وزاد، مثل قولنا: ربا الشّيء، يربو إذًا نما وزاد (ابن منظور، 1999، ص 304). وفي هذا المعنى، قالى تعالى في محكم كتابه العزيز {وَمَا آتَيْتُم مِّنْ رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ}(**القرآن الكريم**، اللّزوم: 39)

أمَّا التّربية اصطلاحًا، فهناك بعض التّعريفات المتنوّعة لها، ومنها:

- إنشاء الشّيء حالًا إلى حدِّ التّمام (الأصفهاني، 2009، ص 184).
- تبليغ الشّيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، وقد وصف به تعالى للمبالغة (البيضاوي، 1998، ص 100).
- الجهود المقصودة الّتي تبذل من الإنسان بشكلٍ خاصّ لإحداث تغييرات فيه، مرغوب فيها.

2 – مفهوم الطّفل لغةً واصطلاحًا:

تطلق كلمة «الطّفل» لغةً على الصّغير من كلِّ شيء، وكلّ جزء من كلّ شيء، عينًا كان أو حدثًا، ولا فعل له. يُقال: حاجةٌ طفلٌ، أي: يسيرةٌ قصيرة، وريْحٌ طفلٌ، أي: ليّنة. كما تأتي بمعنى الصّغير من أولاد النّاس، والبقر، والظّباء. وقد يكون الطّفل واحدًا وجمعًا، وذكرًا ومؤنّثًا، قال الله تعالى: {هُوَ الَّذي خَلَقَكُم مِّنْ تُرابٍ ثُمَّ مِن نُّطفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكونوا شُيُوخًا وَمِنْكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلّكُم تَعْقِلون} (**القرآن الكريم**، غافر: 67). والعرب تقول: جارية طفلة وطفل، وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل، وطفلان وأطفال وطفلات في القياس

(ابن منظور، 1999، ص 401).

أمّا الطّفل في اصطلاح علماء التّربية، فيضمّ جميع الأعمار ما بين المرحلة الجنينيَّة، ومرحلة الاعتماد على النّفس، ولذلك حُدّدت الطّفولة بالفترة الواقعة ما بين الحلم وسنّ الثّامنة عشرة، بمعنى أنّها تشمل مراحل النّموّ الآتية: مرحلة ما قبل الميلاد، مرحلة المهد (من يوم الولادة إلى سنّ السّنتين)، الطّفولة المبكرة (من سنّ السّنتين إلى سنّ 6 سنوات)، الطّفولة المتوسّطة (من سن 6 سنوات إلى سنّ 12 سنة)، ثمّ مرحلة المراهقة (من سن 13 سنة إلى سنّ 18 سنة). فالطّفل من ناحية التّربية وعلم النّفس، يُقصد به: الإنسان منذ الميلاد إلى أن يكتمل نموّه ويصل إلى حالة النّضج. واصطلح على تعريف الطّفل بذلك في قوانين عدد من الدّول، بينما يمتدّ سنّ الطّفل في بعض الدّول المتقدّمة إلى سنّ الحادية والعشرين (الجراجرة، 1988، ص 45-43).

3 - مفهوم تربية الطّفل في اصطلاح علماء التّربية

استُعمل مصطلح التّربية في مجال تربية الطّفل، وهناك تعريفاتٌ عدّة من قبل الباحثين في هذا المجال، ومن تلك التّعريفات:

- عرّف (هندي،1984) تربية الطّفل على أنّها «عمليَّة توفير الفرص الملائمة، لنموّ الفرد نموًّا متكاملًا في جميع نواحي شخصيَّته الجسميَّة، والعقليَّة، والعاطفيَّة، والاجتماعيَّة، حتَّى يستطيع ممارسة أنماط سلوكيَّة مختلفة تمكّنه من التّكيّف مع الحياة والمجتمع» (ص 13).
- وقد عرّفه (يالجن، 2011) بأنّه «تزويد الطّفل بما يحتاج إليه من الثّقافة الإنسانيَّة الضّروريَّة، وتغذيته بما يحتاج إليه من التّغذية الضّروريَّة، وحفظه من كلّ سوء، ورعايته خلال مرحلة نموّه، وتهذيب أخلاقه، ونفسه، لينشأ نشأةً سليمةً، ولينمو نموًّا متكاملًا، من النّاحية الجسميَّة، والرُّوحيَّة، والعقليَّة، والنّفسيَّة، والاجتماعيَّة، والأخلاقيَّة، حتّى يعلو شأنه، وترتفع منزلته، ويكون شريفًا في قومه» (ص 51).
- أمَّا (محرّم، 2006) فقد قال: بأنّ تربية الطّفل هي «عمليَّة تكوين للإنسان، يسعى إليه المربّي بإثارة القدرات الكامنة لدى الطّفل، ثمّ توجيهها توجيهًا سليمًا، وذلك باستخدام أفضل أساليب التّربية والتّعليم الّتي توصّل إليها المربّون» (ص 14).

وانطلاقًا ممّا سبق، فقد رأى الباحث أنّ كلّ التّعريفات تتّفق على أنّ تربية الطّفل هي عمليَّة تقوم بتشكيل شخصيَّة هذا الأخير، والعمل على تطويرها وتعزيزها، إضافةً إلى بنائها عن طريق اعتماد أساليب تربويَّة خاصّة بكل مرحلة من مراحل عمر الطّفل، ممّا يدفعه إلى تحسين طريقة تصرّفه مع المجتمع المحيط به.

ثانيًا: دور الأسرة في تربية الأطفال

يتعاظم دور الأسرة في تربية الطّفل، وتنشئته تنشئة اجتماعيَّة سويَّة في مرحلة الطّفولة المبكرة، على اعتبارها أوَّل نواة، وجماعة أوّليَّة، ومؤسَّسة اجتماعيَّة يعيش في ظلّها الطّفل، ومن خلالها يكتسب العديد من الخبرات الّتي تشكِّل الأساس للكثير من المفاهيم عن نفسه، وعن الآخرين، والعالم من حوله. إذ إنّه يرى المجتمع الخارجيّ من خلال عيون الوالدين والإخوة الّذين يشكّلون الأسرة النّوويَّة الصّغيرة. وبما أنَّ معظم ما يتعلّمه الطّفل في سنواته له صفة الثّبات والاستمراريَّة، فإنَّ نظرة الطّفل ومفهومه عمّا يجري من حوله في بيئته الاجتماعيَّة القريبة، والأبعد في السّنوات اللّاحقة، تعتمد إلى حدٍّ كبير على ما تكوّن لديه من مفاهيم، وقيم، واتّجاهات في الطُّفولة المبكرة، أي في أسرته بشكلٍ أساسيّ (النّاشف، 2007،ص22).

ومن أجل أن يعيش الطّفل في بيئة سليمة وصحيَّة، لا بدّ من وجود أسرة يسودها الحبّ، والوئام، والانسجام، والاحترام بين الأهل، والتّعاون بين الإخوة. كما أنَّ الأسرة الّتي تمنح أبناءها المناخ المناسب للتّربية هي أسرة مسؤولة، وتعرف تمامًا أنَّ دورها ليس فقط تأمين المستلزمات الأساسيَّة للطّفل، كالمأكل، والمشرب، والسّكن، وما إلى ذلك، لأنّ دورها المفصليّ يجب أن يكون نفسيًّا ومعنويًّا بالدّرجة الأولى، فكم من أسرةٍ استطاعت بناءَ جيلٍ واعٍ ومثقّف على الرّغم من إمكاناتها المادّيَّة البسيطة والمتواضعة، وكم من أسرةٍ غنيَّة، وميسورةٍ مادّيًّا لم تستطع تقديم التّربية الحقَّة لأبنائها.

إنَّ من أكثر ما يؤثّر سلبًا في الأطفال، هو وجود مشكلات كثيرة بين الوالدين، وتضارب في وجهات النّظر، وفي طريقة التّربية، الأمر الّذي من شأنه القضاء على العاطفة والتّلاحم فيما بينهما، وبالتّالي خلق مشكلات نفسيَّة لدى أطفالهم.

يلخّص (إسماعيل، 1996) طرقًا تساعد الأطفال على إحلال عادات وقيم جديدة ومقبولة اجتماعيًّا، وهي طرق: الثّواب والعقاب، والملاحظة، والتّقليد، والتّوحّد. وهذه الطّرق ليست مستقلّة الواحدة عن الأخرى، بل هي متداخلة وتكمّل كلّ منها الأخرى.

- **الثّواب والعقاب:** يستخدم الآباء هذه الوسيلة غالبًا لتدريب أطفالهم على اكتساب سلوك مثل طاعة الوالدين، أو التّعاون في بعض الأعمال المنزليَّة، أو الاعتماد على النّفس، أو العطف على الصّغير (الثّواب). وفي الكفّ عن سلوكٍ غير مُرضى عنه اجتماعيًّا، مثل الكذب أو البكاء المستمرّ من دون سببٍ معقول (العقاب)... وهكذا.
- **الملاحظة:** من الطّبيعي أنّ الطّفل لا يتعلّم السّلوك سواء كان إيجابيًّا أو سلبيًّا عن طريق الإثابة والعقاب فقط. فهو بطبيعته دائم الملاحظة لما يفعله الآخرون، وما يدور حوله في بيئته المباشرة؛ فالأطفال يلاحظون الآباء، والإخوة، والمدرّسين، والكبار من حولهم، وحتّى من يقاربونهم في السّنّ، والشّخصيَّات التلفزيونيَّة، وكلّ من في دائرة اتّصالاتهم، ويتّخذون منهم قدوة، وزادَ على ذلك في الوقت الرّاهن القدوة الّتي تقدّمها الشّخصيَّات الخياليَّة والواقعيَّة سواء على شاشة الفضائيَات، أو الكمبيوتر عبر الشّبكة الدّوليَّة للاتّصالات (الإنترنت)، أو على الشّاشة الفضّيّة الكبيرة (السّينما) (ص 404).

وليس بالضّرورة أن يكون الطّفل ملاحِظًا سلبيًّا، فهو من خلال مبدأ الثّواب والعقاب الّذي تعلّمه من والديه، يستطيع التّمييز بين السّلوكيّات الصّحيحة، والسّلوكيّات غير الصّحيحة، والدّليل على ذلك أنّه في حال تصرّف أحد من أهله خلافًا لما قاله وعلّمه إيّاه، نلاحظ أنّ الطّفل يطرح تساؤلاتٍ عدّة عن التّناقض بين الأقوال والأفعال لدى والديه. إذًا للطّفل ذاتيّته واستقلاليّته، وقدرته على الملاحظة، والتّحليل، والاستنتاج.

- **التّقليد:** يبدأ الطّفل في تقليد أفعال الآخرين في نهاية السّنة الأولى، إلّا أنّ التّقليد عندئذٍ لا يعتمد على الصّور الذّهنيَّة بقدر ما يعتمد على الملاحظة المباشرة للفعل. ولكن ما إن يصل الطّفل إلى سنّ السّنة والنّصف أو السّنتين، يكون بإمكانه تكوين صور ذهنيَّة لما يقع حوله، والاحتفاظ بتلك الصّور واسترجاعها، حتَّى تتّسع دائرة الأفعال الّتي يمكن أن يقوم بتقليدها إلى أبعد حدٍّ ممكن.

ولكنّ الطّفل «اختياري» في عمليَّة أو «لعبة» التّقليد هذه. وقد ظهرت تفسيرات عديدة لاختيار سلوك معيّن لتقليده من دون غيره، منها أنّ الطّفل يختار السّلوك الّذي يطيل فترة الاستثارة الّتي يُحدثها التّفاعل بينه وبين الكبير الّذي يقلّده، أو أنّ الفعل الّذي يقوم الطّفل بتقليده يحدث نتائج ممتعة بالنّسبة إليه، كما يحدث عندما يضغط طفلٌ على جهاز التّحكّم من بُعد، كما يفعل الوالدان لتشغيل التّلفزيون، والاستمتاع بالأغاني، والصّور الملوّنة والحركة الّتي تظهر على شاشته. ولكنّ هذا التّقليد الّذي يكون في بدايته محاكاةً لأنموذج ما يشاهده، يصبح مع الوقت ملكًا للطّفل، ونابعًا من ذاته، يستخدمه بإرادته، واعتمادًا على المهارات الّتي نمت لديه، وليس بإرادة الأنموذج المحتذى، ممّا يزيد من شعوره بالسّيطرة على البيئة، والإحساس بالكفاءة (إسماعيل، 1996، ص 408).

- **التّوحّد:** يتعدّى التّوحّد التّعلُّم البسيط الّذي يحدث عن طريق الملاحظة والتّقليد. إذ إنَّ التَّوحّد يعني أنّ الطّفل يتبنّى نمطًا كلِّيًّا للسّمات، والدّوافع، والاتّجاهات، والقيم الّتي توجد لدى الشّخص المتوحّد معه، أمَّا التّقليد فإنّه قد لا يتعدّى مجرّد قيام الطّفل باستجابة مماثلة لتلك الّتي اقترحها الأنموذج. كما أنّ التّعلّم عن طريق الملاحظة والتّقليد، لا يتطلّب وجود روابط عاطفيَّة مع الأنموذج، في حين أنّ التّوحّد يتطلّب ذلك. ويؤدّي التّوحّد دورًا هامًّا في تحقيق الحاجات الأساسيَّة، وتأتي في مقدّمتها حاجة الطّفل إلى الشّعور بالأمان والكفاءة.

تتوقّف عمليَّة التّوحّد وعمقها مع الأب، أو الأم، أو من يقوم مقامهما في غيابهما لسببٍ أو لآخر، على أمرين:

أوّلهما: وجود تشابه بين الطّفل والوالد من النّاحية الجسميَّة، ومن أهم هذه النّواحي النّاحية الجنسيَّة. لذلك فإنّ الوضع النّموذجي هو أن يتوحّد الولد مع والده، والبنت مع والدتها، حيث يظهر الشّبه بوضوحٍ أكثر في طريقة اللّباس، وقصّ الشّعر، والنّاحية التّشريحيَّة.

ثانيهما: تمتّع الوالد (الوالدة) بصفات جذّابة بالنّسبة إلى الطّفل؛ فاستعداد الطّفل للتّوحّد مع والدٍ يتحلّى بالدّفء العاطفيّ والرّعاية والحبّ، يكون أسرع وأقوى منه بالنّسبة إلى والد رافضٍ أو مهمل. كذلك فإنَّ الوالد الّذي يكون على درجة عالية من الكفاءة، والّذي يكون في نظر الطّفل قويًّا، يمكن أن يشكّل أنموذجًا للتّوحّد، أقوى من ذلك الوالد الّذي يكون

ضعيفًا أو غير كُفُؤ (ص 410).

إذًا، فالطّفل عندما لا يستطيع التّوحّد مع صفات والديه وخصوصًا من نفس جنسه، فإنَّ هذا قد يحدث اضطرابًا في شخصيّته، وانعدامًا للأمان والطّمأنينة.

ثالثًا: دور المدرسة في تربية الأطفال

إنَّ الدّور الَّذي تؤدّيه المدرسة في تربية الأطفال، لا يقلُّ أهمّيَّةً عن دور الأسرة، لأنّه دور مكمّل لما تبدأ به الأسرة في داخل البيت. وتسهم المدرسة في نموّ الطّفل من خلال ما تقدّمه له من معارف، ومهارات، وخبرات تقوّي شخصيّته عبر تعلّم القراءة، والكتابة، والتّعبير عن الذّات، كما أنّها تخلق له مساحةً واسعة للعلاقات الاجتماعيَّة، إذ يتقرّب إلى أصدقائه ومعلّميه ويتحدّث إليهم، فيكون هناك نوعٌ من الانسجام، والتّقارب، وتبادل الأفكار.

ومن جهة أخرى، تعدّ المدرسة بيئة خصبة لاكتساب القيم ومعايير الضّبط الاجتماعيّ والأخلاقيّ، فهي النّاطق الرّسميّ باسم المجتمع الّذي من خلاله يحفظ الإرث الاجتماعي، والأخلاقي، والدّيني، وهي المؤهّلة لتطبيق الأنظمة التّربويّة على الطّلّاب، وبذلك تساهم في تكوين شخصيّاتهم، وتساعدهم على النّموّ، والحصول على العلم النّافع. وتزداد المسؤوليّة على عاتق المدرسة كونها المكان الثّاني الّذي يقضي فيه الطّفل معظم وقته إلى جانب البيت، وانطلاقًا من هذه المسؤوليَّة الكبرى تتبدّى الوظيفة المحوريَّة للمدرسة على هذا الصّعيد.

ويتلخّص دور المدرسة في الآتي:

- **تنفيذ المهام التّربويَّة والثّقافيَّة:** وهذه المهام تتجسّد بالوظيفة التّعليميَّة الّتي تقوم بها المدرسة، إذ تقوم على إعطاء الدّروس للأطفال، وتكوين الخبرات لديهم، وإغناء ذاكرتهم، وإمدادهم بالثّقافة اللّازمة الّتي سترافقهم طوال حياتهم.
- **تحقيق شخصيَّة الطّفل:** من خلال اختبار ما يتمتّع به كل طفل من مهارات، وقدرات عقليَّة وجسميَّة، واستثمار هذه القدرات في المجال الصّحيح، وفي هذا نوعٌ من تقدير الذّات لدى الطّفل، ما يحفّزه للقيام بنشاطاتٍ أكبر، وإعطاء كلّ ما عنده في سبيل النّجاح والوصول إلى الأهداف.

- **تعزيز احترام القيم وتطبيقها لدى الطّفل:** لا يقتصر دور المدرسة على الطّابع التّربوي والعلميّ، فهناك جانبٌ آخر تعمل عليه المدرسة وهو الجانب المتعلّق بالأخلاق، وكيفيَّة التّعامل مع الآخر، وتعلّم الاحترام، والتّصرّفات الّتي تنمّ عن لباقة، والابتعاد من السّلوكيّات الخاطئة أو الّتي تدلّ على ضعفٍ في التّربية، وانحلالٍ للأخلاق.
- **تسليط الضّوء على أهمّيَّة التّعاون والمساعدة:** تساهم المدرسة في زرع روحيَّة التّعاون بين الطّلّاب، وبينهم وبين الأساتذة والهيئة التّعليميَّة، وتنمّي فيهم محبّة الآخر، ومساعدته عندما يحتاج إلى المساعدة.
- **الاستقلاليَّة:** تساعد المدرسة على إضفاء نوعٍ من الاستقلاليَّة لدى الطّفل، إذ يقوم بالاعتماد على نفسه، واتّخاذ قراراته من دون العودة إلى الأهل في كلّ صغيرةٍ وكبيرة، فهو قادرٌ على حلّ مشكلاته بنفسه عند الضّرورة.
- **تنمية العقول والأفكار:** تقوم المدرسة بتعليم الطّفل على الصّواب والخطأ، ووجوب التّمييز بينهما، إضافةً إلى حسن الاختيار.
- **فتح آفاق جديدة للطّفل:** في خلال العمليَّة التّربويَّة، تقوم المدرسة بتعليم الطّلّاب على تجارب، وتراث، وحكم القدماء، الأمر الّذي يغني مسيرتهم العلميَّة، ويوسّع آفاقهم، ويجعلهم يتجنّبون الوقوع في أخطاء الماضي، ويستشرفون المستقبل، ويعملون على تحقيق ما لم يحقّقه غيرهم.

رابعًا: دور المجتمع المحلّي في تربية الأطفال

لا يمكن إغفال دور المجتمع في عمليَّة التّربية، فهو الوعاء الكبير الّذي يضمّ الجماعات البشريَّة، ويضمّ العادات الإنسانيَّة المختلفة. وكلّ مجتمعٍ له مجموعة القيم الخاصّة به، وهذه القيم هي المعيار الّذي يحتكم إليه الأفراد تلقائيًّا.

يبدأ الطّفل بالتّفاعل ضمن مجتمعه الصّغير (الأسرة)، ومن ثمَّ ينتقل إلى المدرسة الّتي تغني عقله بالمعارف والخبرات، وبعد ذلك ينطلق نحو المجتمع الكبير ليتعلّم كيف يكون منضبطًا ضمن الأطر والقوانين العامّة، كأن يحترم القوانين مرعيَّة الإجراء، ومنظومة القيم، والعادات، والتّقاليد، والمثال على ذلك: المجتمع العربيّ الّذي يتكوّن من مجموعة

من العادات المتّبعة الموروثة عن الأجداد، فيكمن دور المجتمع هنا في تحصين الطّفل أو الفرد إزاء التّطوّر الحضاري المعلّب، والآتي من الغرب، والعمل على مواجهة التّحدّيات الكامنة خلف هذا الغزو الحضاري للمجتمعات العربيَّة، وأهمّيّة دور مؤسّسات التّنشئة الاجتماعيَّة في التّصدّي للأفكار الغربيَّة بفعل العولمة والتّقدّم التّكنولوجيّ.

ويكون دور المجتمع في تربية الطّفل على الشّكل الآتي (بلال، 2024، فقرة 4):

- **منح الشّعور بالانتماء:** إنَّ الشّعور بالانتماء من الصّفات الّتي يكتسبها الطّفل من البيئة الاجتماعيَّة الّتي يتربّى فيها، والانتماء هو العنصر الّذي يربط الفرد بالمجتمع والتّمسّك به، ويجعله شديد الحفاظ عليه، والاهتمام بنموّه وازدهاره وتقديره هو وأفراده، ويساعده على تعزيز الرّوابط الاجتماعيَّة الأساسيَّة في بناء المجتمع.
- **غرس القيم الدّينيَّة:** تعزّز البيئة الاجتماعيَّة أيضًا القيم الدّينيَّة للطّفل بغضّ النّظر عن الدّيانة الّتي يتبعها، على الرّغم من أنّ الدّين الّذي يتّبع في مجتمعه، هو نفس الدّين الّذي يتّبعه شخص في بيئة اجتماعيَّة أخرى، يبقى تأثير البيئة الاجتماعيَّة يغرس القيم الدّينيَّة بشكلٍ مختلف حسب الثّقافات الاجتماعيَّة، مثل الالتزام بالصّلاة، ومفهوم الأخلاق، والطّقوس الدّينيَّة والتّعبّديَّة.
- **فهم قيمة التّرابط الاجتماعيّ:** يتعلّم الطّفل من خلال بيئته الاجتماعيَة، خاصّةً في مجتمعاتنا الشّرقيَّة، أهميّة التّرابط الاجتماعيّ، والعلاقات الاجتماعيَّة الأساسيَّة في المجتمع، والضّروريّة لصحّة نموّ الطّفل وتنشئته، من خلال مشاركته ببعض الأنشطة المشتركة مع الآخرين، وإنشاء العلاقات معهم، واكتساب المزيد من السّلوكيّات الإيجابيَّة.
- **التّحفيز الاجتماعيّ:** تساعد البيئة الاجتماعيَّة على تحفيز الطّفل على تحسين سلوكه ودراسته، وعلى تعلّم الأخلاق الحسنة من أقرانه، لكن يجب الحذر لأنّه قد يكتسب أخلاقيّاتٍ سلبيَّة إذا كانت البيئة الاجتماعيَّة غير ملائمة لتنشئة الطّفل.
- **ضبط السّلوك:** السّلوكيّات الّتي يتمتّع بها الطّفل معظمها مكتسبة من البيئة الاجتماعيَّة، فقد يتلقّى الطّفل سلوكيَّات الأهل، كالعناد والانطوائيَّة، أو المرح والمرونة الاجتماعيَّة، أو السّلوك العدوانيّ من أقرانه في المدرسة أو الحيّ (بلال،

2024، فقرة 4).

إذًا، يتحمّل المجتمع جزءًا كبيرًا من عمليَّة التّربية، فمن غير المعقول مثلًا أن يمنع الأهل أبناءهم من التّدخين، ودعايات الدّخان تملأ إعلانات الشّوارع، كما من غير المقبول أن يقوم الأهل بتحذير أبنائهم من خطورة الانحلال الأخلاقي، وفي ذات الوقت تنتشر القنوات الّتي تعرض مشاهد جريئة ومنحرفة. لذا لا بدّ للمؤسّسات الاجتماعيَّة أن تفعّل دور الرّقابة على مثل هكذا أمور مصيريّة، حتّى لا يكون الأطفال ضحيّة المجتمع، والعكس صحيح.

خامسًا: دور الدّولة في عمليّة التّربية

الدّولة في مفهومها الحديث تعني: مجموعة من الأفراد الّذين يعيشون على وجه الاستقرار، ويمارسون نشاطهم على إقليم جغرافيّ معيّن، ويخضعون– وهم بصدد ممارسة نشاطهم– لتنظيم قانون محدّد، وبالتّالي فإنَّ الدّولة تتّكون من ثلاثة عناصر:هي: السّكّان، والإقليم، والسّلطة السّياسيّة ذات السّيادة، وقد تفنى الدّولة أو تزول بزوال أحد عناصرها الثّلاثة السّابق ذكرها (جمعة، 2022، ص 17).

وتتشارك الدّولة مع كلّ من الأسرة، والمدرسة، والمجتمع المحلّي في مهمّة التّربية، وتختلف درجة مساهمة كل عنصر من هذه العناصر بحسب قربها من الطّفل، وهنا نصل إلى دور الدّولة بما لها من قدرات، وإمكانيّات، وتأثير، فهناك دول تهتم بالمسار التّربوي للأطفال، وقد قامت هذه الدّول بوضع مقرّرات جامعيَّة خاصّة بموضوع تربية الأبناء ودور الوالدين المؤثّر.

تؤدّي الأنظمة السّياسيَّة أدوارًا تتميّز بقدر كبير من الأهمّيَّة، إذ إنَّ طبيعة النّظام السّياسي في الدّولة يحدّد ما إذا كانت هذه الأخيرة تهتمّ بمجال تربية الأطفال أم لا. كما أنّ تقدّم المجتمعات مرهون بالاهتمام الّذي توليه الدّول والحكومات لموضوع التّربية، كونها المدماك الأساس في تقييمها بين متطوّرة ومتخلّفة. فعلى سبيل المثال في الصّين هناك عرف قائم، ألا وهو اصطحاب الأطفال من المدرسة إلى أماكن عمل آبائهم، وذلك من أجل لفت انتباههم إلى أهمّيّة تقدير متاعب وشقاء الآباء في تأمين لقمة العيش، وكيف أنّ الوالد يتحمّل الأعباء والصّعوبات بشكلٍ يوميّ لكيّ يؤسّس عائلةً متعافية

وسليمة. هذا العرف الموجود في الصّين يساهم إلى حدٍّ بعيد في تطوير مفهوم التّربية، وترجمته بشكلٍ واقعيّ وإيجابيّ.

وبما أنّ وظيفة الدّولة الأساسيَّة هي تنظيم حياة مواطنيها من خلال القوانين والأنظمة، لا بدّ من وضع سياسات تربويَّة تهدف إلى إرشاد الطّفل على واجباته تجاه الدّولة والمجتمع، وحقوقه الّتي يجب عليه الدّفاع عنها. كما أنّ الصّراعات الّتي تعيشها بعض الدّول، وخصوصًا دول العالم العربي، قد أنتجت فئةً مضطربةً من الأطفال نتيجة الحروب على النفوذ والسّلطة، وحروب تصفية الحسابات بين الدّول الكبرى، والطّفل هو الضّحيّة الأولى لكل هذه التّجاذبات، لأنّ مستقبله يتحدّد وفقًا لما يدور حوله من أحداث.

في هذا الإطار، صدرت دراسات وكتب عدَّة، من بينها كتاب «التّربية السّياسيَّة للأطفال»، للكاتب سعيد إسماعيل علي، الّذي تمّ نشره عام 2008، حيث يؤكّد الكاتب على أنَّ التّربية السّياسيّة تبدأ منذ المرحلة الابتدائيَّة، ويستطيع الطّفل في هذه المرحلة العمريَّة أن يتعايش مع واقعه، وما يعترضه من قضايا ومواقف سياسيَّة، ومن ثمّ يتفاعل معها بالتّحقّق والمقارنة، وتتربّى لديه العقليَّة النّاقدة على أسس سليمة، قبل أن تتطوّر معه في مراحل عمره التَّالية (الحملي، 2016، فقرة 6).

لكن في ضوء تشكيل الطّفل لمعتقداته منذ تلك المرحلة العمريَّة الصّغيرة، والمتغيّرات السّياسيَّة المحيطة به، لا بدّ من التّفريق بين بناء عقل الطّفل من النّاحية السّياسيّة فيما يتعلّق بضرورة الحوار، واعتماد مبدأ الشّورى خلال اتّخاذ القرارات، وبين التّوجيه الحزبيّ والسّياسيّ للأطفال داخل المدرسة، أو الأسرة، أو في وسائل الإعلام، أو حتّى الدّفع بهم إلى التّظاهرات، واستغلالهم في الصّور مع المسؤولين (فقرة 7).

إنّ المناهج التّعليميَّة في العديد من البلدان العربيَّة لا تخلو من فكرة التّوجيه السّياسي للأطفال، فهناك على سبيل المثال مادّة التّأريخ الّتي يستطيع الطّفل من خلالها بلورة أفكاره ومعتقداته حول العدائيَّة ضدّ كل حالة تعارض النّظام القائم، لذا يجب العمل على التّفريق بين التّنشئة السّياسيّة والتّوجيه الحزبي، في سبيل توعية الطّفل على بديهيّات العلاقات بين البشر من أجل حفظ مبدأ الدّيمقراطيَّة.

الخاتمة

إنَّ التّربية هي أساس بناء أيّ مجتمع، إذ إنّ الأبناء هم صنّاع الغد، والتّربية هي من أرقى الوسائل الّتي تثبت تقدّم المجتمعات، وتنحصر في مجموعة من السّلوكيّات والتّصرّفات الّتي تصدر من الأهل تجاه أولادهم، ومن ثمّ تنتقل إلى المدرسة والمجتمع ككل.

وفي هذه الدّراسة، قد تطرّقنا إلى دور الأسرة، والمدرسة، والمجتمع المحلّي، والدّولة في التّأثير على الأطفال من خلال إيجاد تربية سليمة، تجعل من الطّفل أكثر اطمئنانًا وسكينة، إضافةً إلى دورها في بناء شخصيّته والتّعبير عنها بالطّرق المثلى. كما توصّلنا إلى أنّ التّربية الخاطئة من شأنها تدمير شخصيّة الطّفل، وجعله رهينة سلوكيّات غير مقبولة مجتمعيًّا.

وقد توصّلت الدّراسة إلى أهمّيّة تكاتف دور الأسرة مع المدرسة والمجتمع والدّولة في سبيل الوصول إلى الهدف الرّئيس وهو تحقيق تربية سليمة لا يشوبها أيّ خطأ، وبالتّالي فإنّ هذه الأخيرة لا يمكن لها أن تتحقّق إلّا من خلال التّعليم على الأسس والقواعد الصّحيحة، واحترام القيم والعادات والتّقاليد الّتي بني عليها المجتمع، مع ضرورة الالتزام بتعليم الفرد من نعومة أظفاره لكي تترسّخ في ذهنه المبادئ، ويقوم بالدّفاع عنها وحمايتها عندما يكبر.

التّوصيات

- العمل على توفير مكاتب إرشاديَّة لتمكين الآباء من معرفة الطّرق السّليمة للتّعامل مع أولادهم.
- إقامة دورات تربويّة لتوعية الأهل على احترام أساليب التّربية السّويّة.
- قيام الدّولة بوضع برامج تربويّة خاصّة بالأطفال، لمساعدتهم على تطوير عقولهم، ومعرفتهم بحقوقهم وواجباتهم.
- الطّلب إلى المدارس بتنظيم أنشطة لها علاقة بتعزيز التّعاون بين الأطفال، وتطوير علاقاتهم الاجتماعيَّة.

- العمل على الحدّ من التجاوزات والانحرافات المجتمعيَّة، من خلال تعزيز روح المواطنة بين الأفراد.

لائحة المصادر والمراجع

1. ابن منظور، محمد بن مكرم (1999). **لسان العرب** (ط3). بيروت: دار إحياء التّراث العربي.
2. إسماعيل، محمد عماد الدّين (1996). **الطّفل من الحمل إلى الرّشد. الجزء الأوّل: السّنوات التّكوينيّة**. الكويت: دار القلم.
3. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين (2009). **المفردات في غريب القرآن** (ط1). بيروت: دار القلم.
4. البيضاوي، عبد الله بن عمر (1998). **أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل** (ط1). بيروت: دار إحياء التّراث العربي.
5. بلال، سامي (كانون الثّاني 2024). **تأثير المجتمع على تربية الطّفل الدّور الاجتماعيّ في التّربية**. تمّ الاسترجاع من: http:#helloha.com
6. جمعة، محمد مختار (2022). **الدّولة مفهومها وتطوّرها**. وزارة الأوقاف، جمهوريّة مصر العربيَّة.
7. الجراجرة، عيسى (1988). **ريادة الإسلام في تفهّم خصوصيَّة عالم الأطفال وفي تقرير وتطبيق حقوقهم الخاصّة في الرّعاية والتّربية**. عمان: دار ابن رشد.
8. الحملي، عاطف (2016). «التّربية السّياسيّة للأطفال... صناعة المستقبل». مجلّة **البيان** (349).
9. علي، سعيد إسماعيل (2001). **فقه التّربية: مدخل إلى العلوم التّربويَّة**. القاهرة: دار الفكر العربي.
10. محرّم، خالد محمد (2006). **بناء الشّخصيَّة من خلال التّربية الإسلاميَّة** (ط1). بيروت: دار الكتب العلميَّة.
11. النّاشف، هدى (2007). **الأسرة وتربية الطّفل** (ط1). عمّان: دار المسيرة للنّشر والتّوزيع والطّباعة.
12. هندي، صالح ذياب (1984). **الثّقافة الإسلاميَّة** (ط5). عمان: جمعيَّة عمّال المطابع التّعاونيَّة.
13. يالجن، مقداد (2011). **دور التّربية الأخلاقيَّة الإسلاميَّة في بناء الفرد والمجتمع والحضارة** الإنسانيَّة. القاهرة: دار الشّروق.

List of Sources and References

1. **Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram (1999)**. The Tongue of the Arabs (Lisan al-Arab) (3rd ed.). Beirut: Dar Ihyaa al-Turath al-Arabi.

2. **Ismail, Muhammad Imad al-Din (1996)**. The Child from Pregnancy to Adolescence: Part 1 – The Formative Years. Kuwait: Dar al-Qalam.

3. **Al-Asfahani, Abu al-Qasim al-Husayn (2009)**. The Vocabulary of the Quran (Al-Mufradat fi Gharib al-Quran) (1st ed.). Beirut: Dar al-Qalam.

4. **Al-Baydawi, Abdullah ibn Umar (1998)**. The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation (Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil) (1st ed.). Beirut: Dar Ihyaa al-Turath al-Arabi.

5. **Bilal, Sami (January 2024)**. The Impact of Society on Child Rearing: The Social Role in Education. Retrieved from: http: #helloha.com.

6. **Jumu'ah, Muhammad Mukhtar (2022)**. The State: Its Concept and Evolution. Ministry of Awqaf, Arab Republic of Egypt.

7. **Al-Jarajira, Issa (1988)**. Islam's Leadership in Recognizing Children's Unique World and Establishing Their Rights in Care and Education. Amman: Dar Ibn Rushd.

8. **Al-Hamli, Atef (2016)**. "Political Education for Children... Crafting the Future." Al-Bayan Magazine (349).

9. **Ali, Saeed Ismail (2001)**. The Jurisprudence of Education: An Introduction to Educational Sciences. Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.

10. **Muharram, Khaled Muhammad (2006)**. Building Personality Through Islamic Education (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya.

11. **Al-Nashif, Huda (2007)**. The Family and Child Rearing (1st ed.). Amman: Dar Al-Maseera for Publishing, Distribution, and Printing.

12. **Hindi, Saleh Dhiab (1984)**. Islamic Culture (5th ed.). Amman: Cooperative Printing Workers Association.

13. **Yaljan, Miqdad (2011)**. The Role of Islamic Moral Education in Building the Individual, Society, and Human Civilization. Cairo: Dar Al-Shorouk.